الثورة
www.althawranews.net
الخميس 30 رجب 1435هـ 29 مايو 2014م العدد 18088
Thursday : 30 Rajab 1435 - 29 May 2014 - Issue No. 18088

نزار قباني.. الشاعر الأسطورة

عبدالرحمن مراد

الكتابة عن الشعراء الكبار أحدثوا جدلا في التاريخ الثقافي ليست من السهولة بالمكان الذي قد يتبادر إلى أذهان الكثير ولعلّ نزار قباني هذا الشاعر الظاهرة والأسطورة من أولئك الذين يتعذر على كل أحد الكتابة عنهم أو الغوص في تجاربهم للخروج من أعماق الصدف بالشيء الجديد فالحضور الطاغي والكبير للشاعر نزار قباني في الوجدان الجمعي جعله مادة دائمة الحضور والقراءة ويكاد المرء أن يعجز في قول أشياء جديدة أو يضيف إلى ما قد قيل أو كتب شيئا ذابـال وقد تكون هناك جوانب غير مطروقة في تجربة وحياة الشاعر الكبير نزار قباني لأن هناك تداخلا مستمراً بين أشكال المعرفة وبين ما يسعى المرء إلى دراسته وكما يقال إن موضوع المعرفة يؤثر تأثيراً جوهريا في أشكال المعرفة نفسها مثلما يؤثر في منهجيتها وينطلق منها.

ومن الثابت تاريخاً أن نزار قباني نشأ في زمن كان تحوطه فيه مجموعة الظروف والشروط المختلفة والمتعددة التي تختلط فيها المظاهر الاجتماعية بالمظاهر الثقافية فلم يكن هناك تميزاً بين ما هو اجتماعي وما هو ثقافي بعد ذلك الظلال الذي تركته مجموعة الشروط السياسية والاجتماعية للإمبراطورية العثمانية والجدل الذي حملته الثنائيات كالرجعية والتقدمية في تلك البدايات لذلك كان لا بد أن تنهار المسافة بين النظرية وموضوعها وكان لا بد أن يتعذر الفصل بين النظرية التأويلية والواقع الاجتماعي الذي تحاول النظرية إدراكه وتوصيفه ونزار قباني من أوائل من حملوا مشروع التحرير لتخليص الإنسان من أوهامه وتحريره من قيوده وإعـادة صياغة منظمة العلاقات الاجتماعية وفق أسس ثقافية وأهداف ثقافية جديدة أكثر انتصارا للقيمة وللمعنى الإنساني ولذلك كان مجموعته قال لي السمراء وطفولته نهد مثار جدل واسع النطاق لأنها أثارت أسئلة ثقافية كانت تتوارى خلق الأقنعة وتخشى القوى الليبرالية والتيارات الثقافية أبرزها وطرحها على طاولة النقاش وحين طرقها نـزار قباني في منتصف القرن الماضي بشجاعة لم يمتلكها سواه في زمنه ثارت ثائرة ثائرة التقليدية ونالت من نزار ومن تجربته كما لم تنل من أحد سواه.

لم يكن نزار قباني شاعراً عابراً في بنيتنا الثقافية المعاصرة بل كان قائد ثورة ثقافية حقيقية أحدثت متغيرا اجتماعيا وثقافيا حقيقيا إذ من خلال مشروعه الشعري التفاعلي فسر الظواهر العامة أملاً منه في تحرير الإنسان من قيوده التقليدية وتوجيهه نحو قيم جديدة وأهداف ثقافية أجد ولذلك وجدنا في منتجه الإبداعي مفاهيم جديدة، وقيما إبداعية أجد ورأينا كيف يكتشف لحظاتنا العابرة ليشعل منها جذوة إبداعية فيها من القدرة والتميز الكثير مما نعجز عنه أو الإتيان بمثله رغم السهولة فالسهولة يغالبها الامتناع.

لقد كان نزار قباني نسيجا إبداعيا متفردا ، إذ تجاوز منذ باكورته الأولى قلق التأثير فلم يكن مقلداً وتجاوز معاجم القدماء فكان له معجمه الخاص وتجاوز الماضي الذي كان يبني عليه وينفصل عنه في الآن نفسه إذ أوحى لنا منتجه النصي والإبداعي بالقول أن اللحظة المعاشة والتجربة التي يعيشها الفرد هي الحقيقة التي يجب التعامل معها ضمن كامل التاريخ ومثل ذلك اليقين والهدف الثقافي الجديد ساهم في حالة التفرد في شعرية نزار قباني ، وهي شعرية لم تعش اغتراباً زمنياً أو انسحاباً من واقعها المعرفي كما نلحظ ذلك عند محايليه الذين كانوا إذا وصفوا شيئاً جديداً استعانوا بالمخزون اللفظي وبالصورة التراكمية القديمة بكل نمطيتها وتقليدتها . بل كان كما اسلفنا القول – يبني على الماضي وينفصل عنه فيكون هو ذاتـه في صورة وخيالاته ومعجمه وتراكيبه .

ومـن المتفق عليه بين كل دراســي أدب نزار قباني أن نكسة (5 حزيران) شكلت منعطفاً موضوعياً وفنياً فقد انهار بريق المثالية في المفاهيم والشعارات وفي المظاهر العامة فالسعادة والحياة الهانئة التي كان ينشدها ويغني لها أضحت حروباً ومشاحنات طاحنة وإقصاءً وإرهاباً أصابه في أعزّ أحبابه بلقيس،وهيمنة وقمعاً وظلماً اجتماعياً، وهو الأمر الذي جعله يقاوم كل تلك المظاهر بلغة جارحة أحياناً كما نجد ذلك في جل أدبه السياسي.

لقد ساهم نزار قباني في اجتثاث التحيزات الهرمية عن طريق مبررات وجودها وكان أكثر احتفاءً بالعرضي وبالمفاوقات والسخرية وباللغة المتداولة والمتداخلة مع هموم واحتياجات الناس، فنزار هو الشاعر الذي تجد شعره في الملصقات وعلى التحف والهدايا وفي باقات الورد وفي محلات بيع الزهور ولا تكاد تجد شاعرا مثله أو يماثله فهو عند النخب الثقافية مثله عموم عند الناس ولا أظن أنك تجد أحدا يجعل نزار قباني إلا نادرا فقد صنع أهدافاً ثقافية جديدة منذ نشأته وتطوره ما زالت تحدث أثرا لها في البناءات العامة الثقافية والاجتماعية والسياسية رحم الله نزار قباني الشاعر الظاهرة والأسطورة التي أحدث أثراً في البناءات المختلفة وكان وسيظل متفردا فهو نسيج وحده.

قراءة في قصة "قطط متشردة"

عبدالله أحمد حسين

قصة "قطط متشردة" للقاصة اليمنية انتصار السري قصة هادفة ومعبرة, تتناول موضوعاً اجتماعياً شائكاً, حيث تعرضت لقضية اللقطاء في المجتمع, وما يعانونه من نبذ وإقصاء, لأسباب لا يد لهم فيها.

وقد سارت أحداث القصة بتلقائية وعفوية تدل على تمكن الكاتبة من هذا الفن وإحاطتها بأسراره, حيث نجدها تبتدئ القصة بمشهد ذلك الطفل المرمي بجوار برميل القمامة, وهو المشهد ذاته الذي أنهت به قصتها, مع فارق بسيط هو أن الطفل الأول قد أصبح رجلاً, وهو من يكرر المشهد بوضع طفله بجوار صندوق القمامة.

امتد زمن القصة على مدى زمني واسع يمثل عمر الطفل اللقيط منذ وجوده بجوار صندوق القمامة, مروراً بمراحل حياته حتى بلوغه منصباً أتاح له فرصة الانتقام من المجتمع الذي طالما نبذه ولم يتقبله, والمتأمل في حجم القصة يلاحظ مدى التكثيف فيها؛ حيث استطاعت القاصة أن تضغط الزمن ضغطاً غير مخل, وذلك بوقوفها على أبرز المحطات الزمنية التي ساهمت في تشكيل قصتها وإبراز الحدث الرئيس فيه.

وقد سعت القاصة لإدانة ظلم المجتمع لهذه الشريحة الاجتماعية, وحاولت كشف نظرة المجتمع المتعالية إلى تلك الشريحة, وهي بذلك تحاول أن تنبه على ردود الفعل والنتائج السلبية لهذه النظرة؛ فلولا تلك النظرة المتعالية إلى ذلك اللقيط الذي أبدى مواهب متعددة, لما وصل إلى ما وصل إليه, ولكان شخصاً آخراً, يتجه اتجاهاً يتناسب مع قدراته ومواهبه.

لم تكتف القاصة بطرح القضية بل لقد عرضت لأساليب النبذ والإقصاء التي يمارسها المجتمع ضد اللقطاء, ابتداءً بالأطفال الصغار في الحارة والشارع, الذين حرموه من لذة اللعب مع أقرانه والتمتع بالفوز عليهم, حين يصرخ أحدهم في وجهه قائلا: "- هيي أنت!! لا تلعب معنا .. اذهب أيها اللقيط", وانتهاءً بالجهات الحكومية الرسمية التي حرمته من حقه في التوظيف الذي تضمنه له كفاءته وتفوقه على أقرانه.

وقد قامت القاصة بتوظيف عدد من التقنيات السردية للوصول لهدفها, وقد كان الحوار من أبرز تلك التقنيات؛ حيث كان له دور بارز في الدفع بالأحداث قدما, والقفز بها لمواكبة التكثيف في القصة.

كما أسهم الوصف في تصوير أجواء القصة, وأكسبها لونا قاتماً يشير إلى مأساوية الحدث, حيث يصطدم القارئ منذ مفتتح القصة بمنظر القاذورات المتناثرة والذباب, ورائحة البول الممزوجة برائحة العفن,...إلخ.

لقد كان هذا المفتتح للقصة تمهيدا مناسباً للحدث ومبرراً للأحداث التالية, بما حمله من إيحاءات ولإشارات انعكست في ثنايا القصة.

أما لغة القصة فقد جاءت بسيطة وواضحة, فأسهمت في تصوير الأحداث وتناميها, لاعتمادها على الجمل الفعلية عند تتبع الحدث, حيث نقرأ: "امرأة ثلاثينية تقذف بأكياس القمامة, صراخ ذلك الطفل يفزعها, تفتش عن مصدره, تزيح تلك الأكياس, تمسح وجهه, تحتضنه, ..., تفرح به, تحمله إلى منزلها, تنظفه, تدفئه, ترضعه, تربيه بين أولادها كواحد منهم".

في حين اعتمدت على الجمل الإسمية عند تصوير المكان في مفتتح القصة, "ذبـاب متطاير, قـاذورات متناثرة, بجوار ذلك البرميل, رائحة بوله ممزوجة برائحة عفن, صوت بكائه يشتد..."

والقصة ذات نفس روائي واضح, حيث أنها تصلح لتكون موضوعاً لرواية, وذلـك لطبيعة موضوعها, واتساع زمنها, وإمكانية تطويرها بإدخال عدد من الشخصيات والأحداث إليها.

(قطط متشردة)

انتصار السري

بجوار ذلك الرصيف نبذ، صوت مواء القـطط المـتشـردة، المتسكعة يـتداخل مع بكائه، ذباب متطاير، تذورات متناثرة بجوار ذلك البرميل، رائحة بوله ممزوجة برائحة عفن، صوت بكائه يـشتد، يستـنجد أحد المارة، امرأة ثـلاثينية تقذف بأكياس القمامة، صراخ ذلك الطفل يفزعها، تفتش عن مصدره ، تزيح تلك الأكياس، تمسح وجهه، تحتضنه، طفل رضيع لا شيء يدثره غـير قطعة قماش ملفوف بـداخلها، تشعرها أنه لف داخل كفن، تفرح به، تحمله إلى منزلها، تـنظفه، تدفـئه، ترضعه، تربيه بـين أولادهـا كواحد منهم يكبر، يـشـتد عوده، يلعب مع أقرانه في الشارع، صوت يخترق أذنيه:

ــ هيي أنت !! لا تلـعب معنا .. أذهب أيها اللقيط ... لا يعرف ما تعني تـلك الكلمة، تخـتزلـها ذاكرتـه يشب، يتفوق فـي دراسته، تقذف بوجه كلمة نفذت إلى مسامعه:

ــ أتتفوق علي يا أبن الحرام .. تتـشابك الأيادي، تدمي الوجوه، تنهك كرامته، ينزف القـلب قـبل الجسد !! فما هو إلا أبن زنا، يقـسم أن ينتقم من تلك الخاطئة، من دنست طهارته .

تمر الأعـوام ، يحصد أعـلى الدرجات، يتخرج بدرجة امتياز مع مرتبة الـشرف، يعيني غـيره مـعيد، لا تنفعه مـرتبة الشـرف، هـو كما قـيل لا نسب له، أنه أبن الزانية، يا لتلك الكلمة كيف حطمته، يفتش عن تلك الزانية في خيال أي امرأة تمر بقربه. بحلو حديثه ينسج شباكه، جسده الوسيم وبريق عـينيه تساعدانه في اصطيادهن، يتساقطن بـين ذراعيه كأوراق الخريف، يملهن، يتركهن، يفتش عـن غيرهن.

تمر حياته من مـستنقع إلى مسـتنقع آخر أشد عمقاً، يعمل في التهريب، ترتفع أرصدته في البنوك، يستمر في نهب أجساد الفتيات، يزهو بعد كل انتصار له، يتشفى عند ذرف الدموع المنهمرة الراجية أن يتستر عـليها، يكافئها بركلها بحذائه الملمع، ينـتشـي يفرح لقول أحداهـن أنها حامل، ترتسم البسمة على ثغره، يعدها بالزواج، يعتني بها، تضع مولودها، يخطفه من بين أحضانها، يلفه بقطعة قـماش، يضعه بداخل كرتون بجوار برميل القمامة، تهب عاصفة، تقـتلع الرياح غطاء الكرتون، يتبـدد ظل ذلك الرجل، أجدني أنا ذلك الرجل المنبوذ متكوراً دخل الكرتون، صدى صوت صرخات بكائي المتداخلة مع مواء قـطط متشردة ، تهز وجدان امرأة ثلاثينية ، ترمي بأكياس القمامة .

الكسل.. والحرية الفردية

الكسل «آفة» حقيقية اعتبرها الكثير من الحكماء والفقهاء والفلاسفة والأدبـاء والفنانين بمثابة "خطيئة كبرى"، لكن بالمقابل ترى المجتمعات الحديثة أنه "حق من الحقوق" أو "نوع من ممارسة الحريّة الفردية" باسم التمتع بأوقات الفراغ.

الأستاذ الجامعي ومؤرّخ الثقافة الفرنسي "اندريه روش" يُكرّس كتابه الأخير لدراسة تاريخ ظاهرة "الكسل" والنظرة لها في المجتمعات الأوروبية منذ الأزمنة القديمة إلى اللحظة الراهنة. يحمل الكتاب عنوان "الكسل.. تاريخ خطيئة".

وينقل المؤلف عـدداً من التعريفات القاموسية للكسل يصب جوهرها باعتباره نوعاً من "الميل إلى عدم القيام بأي عمل والنفور من أداء أي جهد". والإشـارة أن مفهوم الكسل له مرتكزاته العقائدية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وإشارة المؤلف أيضاً أن هذه هي المرّة الأولى التي يتم فيها تقديم "تاريخ الكسل" في فرنسا أو في بقية بلدان العالم.

والإشارة أيضاً أن الرومان القدماء كانوا يُميّزون بين "الكسل" و"وقت الفراغ" الذي يُعبّر عن "فضيلة يتمتع بها الأدباء" من أجل إبداعهم. وهي "فضيلة" دافـع عنها مبدعون مثل شيشرون وسينيك وغيرهما. ذلك على خلفية اعتبار أن وقت الفراغ المعني يشجّع على "التأمّل" والتفكير. ولم يتردد القديس توما الاكويني في الثناء على "وقت الفراغ الخلاق".

الميزة الأولى لهذا الكتاب أنه من صنف ما يسمّى بـ "الكتب الجميلة" الذي يعتمد فيه المؤلف على العديد من الصور واللوحات ــ يضم هذا الكتاب 70 رسماً توضيحياً ــ التي تُمثّل "لحظة كسل" مثل صورة تلك الفتاة النائمة الموجودة على الغلاف الأول للكتاب. هذا مع تعليق ـ تساؤل من المؤلف مفاده: "فتاة في قيلولة هادئة. من لا يحلم بمثل هذه اللحظة من الكسل اللطيف والتمتع بفترة بعد الظهر من يوم مشمس؟".

لكن المؤلف يستدرك سريعاً كي يشير إلى وجود أشكال من الكسل التي تم اعتبارها في أوروبا بمثابة "خطيئة كبرى" خلال العصور الوسطى. ذلك من قبل السلطات الكنسية بالدرجة الأولى. بل وشاع توصيفها بأنها "طاعون الروح"، كما ينقل المؤلف. والإشارة أن آثار مثل تلك النظرة السلبية القديمة للكسل لا تزال قائمة وراسخة حتى الآن وفي جميع الثقافات الأوروبية وغيرها من الثقافات، حيث يقارب توصيف "الكسول" نوعاً من الشتيمة.

إن الكسل يتم توصيفه أيضاً من بعض المجتمعات على أنه "أصل جميع الرذائل". لكن المؤلف لا يركز كثيراً على الوجه "الأخلاقي" في معالجته لظاهرة الكسل. بل يعطي الأولوية بالأحرى إلى "التاريخ الثقافي للكسل"، كما يشير. وذلك من خلال الشرح الذي يقدّمه للوحات المرافقة للنصوص.

ويفهم القارئ أنه لم يتم اختيار أي رسم أو نقش بشكل عشوائي. كذلك يلجأ المؤلف إلى استخدام العديد من النصوص الأدبية والفلسفية الخاصّة بالحديث عن الكسل من القرون الوسطى حتى الفترة الراهنة. وينتج منها كلها أن الكسل يعني "عدم امتلاك رغبة عمل ما يتطلّب مبدئياً ضرورة القيام فيه، كان ذلك من أجل النفس أو من أجل الآخرين..".

وينقل المؤلف عن بعض علماء الاجتماع قولهم إن المجتمع الإقطاعي في العصور الوسطى الأوروبية "ساعد على خلق شريحة من المتسولين: الذين أُطلقت عليهم تسمية "من لا فائدة منهم" ممن "يخلطون بين الكسل والضياع".

المؤلف في سطور

اندريه روش أستاذ سابق للتربية البدنية، تحوّل إلى دراسة الفلسفة وحاز على شهادة الدكتوراه في هذا المشرب وأصبح مؤرّخاً للثقافة. عمل بعد ذلك كأستاذ للفلسفة في عدّة جامعات فرنسية من بينها "جامعة مونبلييه" و"جامعة ستراسبورغ". وكذلك عمل في جامعتي "مايانس" و"الانتيل ـ غوايانا" في مقاطعات فرنسا ما وراء البحار، من مؤلفاته :" الحب على ضوء الجريمة" و"تاريخ الرجولة من الثورة الفرنسية حتى اليوم".

الكتاب: الكسل..تاريخ خطيئة - تأليف: اندريه روش الناشر: ارمان كولان - باريس- 2013 - الصفحات: 216 صفحة - القطع: المتوسط

ربيعُ الصمت

عبدالرحيم السعيدي

بلا شك أنكِ في كل ليلٍ متى تذكريني
يحطُ على شفتيكِ سؤالٌ يليهِ سؤالْ...
بماذا يفكرْ ؟
ومن أين جاءَ؟ وكيفَ وأينَ وأنى سيُبْحرْ ؟
متى سوف ينطقُ (ماما وبابا)؟
وهل عابدُ الصمتِ يوماً سيكفرْ ؟
كثيرٌ كثيرٌ هي الأسئلة
فهل جدُّها يشبهُ المهزلة ؟
كثيرٌ كَثيرٌ ولكنني
حصدتُ الإجابات من سنبلةْ .
سأكتبُ شعراً فلا تضجري
لعلي أُجيب عن الأسئلةْ
أنا شاعرٌ جئتُ من دفتري
هروبا من الهمز والقلقلةْ
أفتِّشُ عن قمرٍ هاهنا
يضيءُ الطريقَ لقلبي ولهْ
وأبحثُ عن نجمةٍ في الفضاءْ
وعن وردةٍ جاء منها الربيعْ
وعن قبلةٍ من شفاه القضاءْ
تُقبلُ عمري كطفل رضيعْ
ومنذُ التقينتُكِ
دون كلامٍ ودون خصامٍ ودون فصامٍ ولا جلجلةْ
أطالعُ فيكِ التفاصيل دوماً
فكنتِ المفاجئةَ المذهلةْ.
أمّا سكوني فليس سكوتاً
ومن ظن ذلك ما أجهلهْ
سكوني جمالٌ00وقلبكِ أخضرْ
وصمتي حوارٌ مع الأمنياتْ
وقوفي بقربكِ 00أجملَ منظرْ
فلله ما أروعَ المعجزاتْ
وصمتكِ دِينٌ به الروحُ تتعمر
وإن ما ضحكتٍ تضيءُ الحياةْ
فما كل صمتٍ سكُوتٌ عقيمٌ
وصمتي لديكٍ خريفُ الرواةْ
فهلْ تعلمينَ بأنّ شرودي بجنّات عينيكِ
في واحة الصمت أسمى وأنقى وأرقى
اللغاتْ ؟!!
فمن وحي عينيكِ أكتبُ شعرا
ومن ورد خدَّيكِ أخرجُ حبْرا
وأشتمُ عطرا
ولي في تفاصيلِ وجهكِ دوماً
مآربُ أُخرى.
فحيناً أُقدّسُ مولايَ فيهِ
وفيهِ أرى أجملَ الحوريات
وأسْبحُ في نيلِ عينيكِ حيناً
وحيناً أسافرُ عبرَ الفراتْ
فمنذُ عرفتُ الملاحةَ فيكِ
عشقتُ على مقلتيكِ حياتي
عشقتُ الممات
ففيها المقام وفيها السَفرْ
وفيها العظاتُ وفيها العبَرْ
وأنتِ الربيعُ وأنتِ المطرْ
وأنتِ الجديدُ بعصر الفضاءِ وعصر
الفِكَرْ
فهل تعلمين بأني متى ما جلستِ أمامي
صباحاً..نهاراً...مساءاً
تودّعُني الأرضُ والجاذبية
وأن عثُوري على روحِكِ العذب
أقوى اكتشافٍ بهذا الزمانِ وأرقى قضية
فهلاّ عرفتِ تفاصيلَ صمتي
فإن لم تكوني أميرةَ روحي
فللصمتِ عندي لغاتٌ أُخَر